ثورة العرب

مساعيهم لتأسيس ملك عربي

لانيس الفرسي
استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

حدث في اثناء الحرب الكبرى حادثان كبيران كان لهما اثر عميق في نفسية العرب وبالتالي في شعرهم ، هما اعدام الشهداء ، والثورة الحجازية . ولسنا في مقام البحث عن الاسباب التي أدت الى كليهما وانما نحن نؤرخ الواقع وأثره في ادبنا العربي الحديث

ومن المعلوم ان الدولة العثمانية لم تكن قبل الحرب عمياء عن الحركات القومية العربية فأخذت تبث عيونها في كل ناحية لتلم بكل شيء من امرها . ولم تكن في اول الامر تظهر القسوة والشدة كما يستدل من مفاوضاتها لزعماء الحركة الاصلاحية الذين اجتمعوا في باريس برئاسة عبد الحميد الزهراوي [1] . على انها كظمت ما في نفسها خوفاً من تدخل الاجانب . جعلت تتحين الفرص السانحة

فلما اشتعلت نيران الحرب العامة وانقلبت الامتيازات الاجنبية اسرعت الدولة الى تفتيش القنصليات المعادية فوقع في يديها بعض الوثائق السرية ربما تمكنت ان تستفيد منها لاظهار الجمعيات العربية [2] وحينئذ شمرت عن ساعد الجد فقبضت على جماعة من الزعماء وتمكن بعضهم من الفرار الى اوربا ومصر

وأحيلت الاوراق الى الديوان الحربي لحكم على نخبة من اعيان الوطنيين [illegible] الحكم في ٦ ايار (مايو) سنة ١٩١٥ في دمشق وبيروت . وحكم بالاعدام غيابياً على خمسين من الوجهاء ، فضلاً عمن عوقبوا بالنفي او بالسجن [3]

---

(١) راجع صورة الاتفاق بين الطرفين في المقتطف ١٦ — ٦٣٩ (٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب الثورة العربية لامين سعيد ١ — ٦٦ (٣) راجع اسماء الشهداء والمحكوم عليهم غيابياً في كتاب الصحائف الذي اصدره جمال باشا وكتاب الثورة العربية الجزء الاول

ومن الصعب الآن ان يصف كاتب ما خالج قلوب السكان يومئذ من الهلع والتقمة . وها نحن نعيد ذكرى تلك الايام المؤلمة فيعود الى نفوسنا ما كنا نشعر به من الضغط والرهبة — شعور غريب كان يخيم على البلاد حتى لم يكن احد يجسر على التكلم او البحث في الشؤون السياسية. او اظهار الاسف على شهداء العربية

على ان ذلك الضغط التركي الرهيب لم يحل من فائدة اجتماعية فقد كان من اسباب التقارب بين الطوائف . وذلك لارتباطهم بشعور عام انهم عنصر مظلوم وأثر ذلك بيّن في الشعر العربي لذلك العهد

والى ذلك الضغط وذلك الشعور الاليم بالظلم يرجع السبب في توسيع شقة الخلاف بين العنصرين التركي والعربي ، وبالتالي الى تسهيل مهمة الحلفاء في سوريا والعراق ، ثم الترحيب بهم يوم تمكنوا من الفوز على تركيا وفصل الاقطار العربية عنها . ومما يمكن لنا هذه الحال قصيدة لرضا الشبيبي نظمها على أثر طرد الاتراك من العراق وهي تحمل لنا أسفهُ بل أسف العراقيين في العراق لسوء السياسة التركية التي أدّت الى التفرقة بين عنصري الدولة الكبيرين . وفيها يقول : (١)

يامن يعزّ علينا انْ نؤنّبهم ... في حيث لا ينفع التأنيب والعذلُ
جفوتمونا وقلتم لا نحبكمُ ... منيَ مطيّها الاخفاق والفشلُ
تأبى الحوادث الاّ ان تعلّمكمْ ... ولا ودين التآخي ما بنا ملَلُ
أما صفحنا عن الماضي لأعينكم ... أما أديلت لكم أيامنا الاولُ

ومنها مشيراً الى حكومة الاتحاديين وسوء إدارتهم : —

فيضمُّ لحفاظ الملك طائفة ... لغيرها الملك والاجناد والدول
قوم من العرب وخز النحل أرهمُ ... وحظ قوم سوانا الاريُّ والعسل
عند الغنائم تفسونا ويقدحنا ... من المغارم نقلٌ ليس يحتمل
أين الزهين بأموالٍ لنا ذهبت ... ومن يقيدُ باخوانٍ لنا قُتلوا
إما شهيدٌ معلّى فوق شاهقةٍ ... أو موثق بحبال الأسر معتقل

فالشاعر هنا يعيد ذكريات الحرب وما قبلها ويعزو الى الاتحاديين ما أصاب البلاد من شقاء. وما نجم من خلاف أدى الى إبعاد قواها ووقوعها في يد الاعداء

***

ومن البديهي ان الشعر العربي في الاقطار العثمانية لم يستطع اثناء الحرب ان يبكي الشهداء كما كان يود . فما وضعت الحرب اوزارها وخرجت سوريا والعراق والحجاز من المنطقة العثمانية عاد الشعراء الى ذكريات شهدائهم وصاروا يعددون مآثرهم . وقد رفعهم الشعر الى مصاف

(١) راجع كتاب « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » للحسني ص ٥٥

الابطال فاتكٌ في نجع ... وقد يرى أحدهم كما فعل الزعارتي في قصيدته « الثأر » وهي تقارب المائة والستين بيتاً ولا نخلو اذا حيّينا « ... » ... فيها بوصف المشانق وقبور القتلى وأعلامهم ، ويذكر أسماء الشهداء واحداً واحداً باكياً شبابهم طالباً الثأر لهم . ثم يذكر ما أصاب الناس من نفي وتشتيت ويعقب بذكر الثورة ودخول العرب دمشق وتخلصها بذم جمال باشا ، والتفاؤل بعود زاهر باسم العرب ماضي الأيام : واليك بعض أبياتها :—[1]

على كلّ عودٍ صاحبٌ وخليلُ ... وفي كل بيتٍ رنّةٌ وعويلُ
علاها وما غير الحيّة سلّمٌ ... « شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ »
لقد ركبوا كور المنايا بعزمهم ... الى المجد من وادي الحياة رحيلُ
رجالٌ عليهم من سنا النصر رونقٌ ... وللمجد فيهم غرّةٌ وحجولُ
مشوا في سبيل المجد يحدوهم الرضى ... وللحق بين العالمين سبيلُ

***

قبورٌ بيروت وأخرى بحلبٍ ... تُجرّ عليها للرياح ذيولُ
سرت روحهم تطوي السماء لربها ... وما غير ضوء الفرقدين دليلُ

وبعد ان يذكر الشهداء ويعدد أسماءهم وصفاتهم يقول : —

بني يعربٍ لا تأمنوا الترك بعدها ... بني يعربٍ ان الذئاب تصولُ
وان تسكن الايام عن نصبه جنوا ... ولكن بما كالوا لهم سنكيلُ
وقد سلبوا حرية الناس مذ غزوا ... وتلك مرادٌ للحياة وسمّولُ
وصبّوا دماء من شعوب بريئةٍ ... فاخضرّ وهدان بها وتهولُ

ومنها مخاطباً جمال باشا : —

جمالُ لأنت الفتح تمزق ضمه ... وتوبك أذ أرتاد غيرك ذيلُ
تُريد لمجد الشرق وهو أثيمةٌ ... وهيهات انه لدنيء يزولُ
ربيبك لا تغرّ بالدهر ان صفا ... ولا تأمن الايام فهي تحولُ
وراءك لا تترب رواسي يعربٍ ... فتقرب رواسيها عليك ويلُ

***

ولخير الدين الزركلي قصيدة نظمها (٥ أيار في ديوانه) على اثر اعدام الترك فريقاً من

(١) راجعها في ديوانه « وفي الادب العصري » لبطي ص ١٠ — ١٨

شبان العرب بسورية وتيام الثورة بالحجاز ، ومنها في الشهداء —(١)

فمي نادب العُرب شبّانها فجدّد بالنعي احزانها
بكى كلّ ذي عزّة تربه فهاج نزاراً وعدنانها
فمن للمدامع ان لا تفيـ ـضَ وترسلَ كالسيل هتّانها
فجائعُ هنّ حديث القلوب وهيهات تسطع سلوانها
ومنها : فأبكي على غرر المسلمين أباة المذلّة قرآنيها
وابكي على آل عيسى المسيح ثمّ العرانين صلبانها
لغتْ لغة العُرب من احكموا لسان قريش وتبيانها
وناحتْ على من بنوا عزّها واعلوا بما ثلّوا شانها

وهناك قصائد اخر هذين الشاعرين فلتراجع في مظانها

٭٭٭

وكما نسمع بكاء الابطال في الوطن نسمعهُ في المهاجر . فان المهاجرين لم يكونوا يوماً اقلّ حماسةً من اخوانهم المقيمين . والذي يقرأ دواوين ابي الفضل الوليد ، والشاعر القروي ، وفرحات ، والحرّ ، وصوايا وسواهم يرى من أنفاد العروبة ما قد لا يراه في البلاد العربية نفسها. واليك انموذجاً من شعر المهجر في الشهداء وهو من قصيدة موضوعها « ليحي العرب »(٢)

بلادَ الشام غادرك الكرامُ فعيش الحرّ فيك اذن حرامُ
لقد كثرت من العرب الضحايا ولم يهتزّ في الغمد الحسامُ

ومنها مشيراً الى السفاكين حاضّاً العرب على الثورة —

وحتّام المخافة من علوج لهم ذمٌّ وليس لهم ذمامُ
يرون محبة الاوطان جرماً بهِ يهوي من الاحرار هامُ
لقد تتلوا العواطف والمزايا ففي احشائنا منها سهامُ
أبقى ساكتين بلا حراكٍ والثورات حولنا اضطرامُ

ثم يخاطب الشهداء ويصف مجدهم لدى الموت

أيا صحبي الكرام ألا فداكم لثامٌ بعد ما ثلّ الكرامُ
مشيتم باسلين الى المنـ ـايا وكان لكم عن القطع ابتسامُ

(١) ديوانه (١٩٢٥ ص ٦٥) (٢) ديوان الاعاصير المنتهية (الوليد) ٧٢

ليحيَ العرب قد صحتم ومتم فضحيتكم لحطتكم دوامُ
منحن لدى بسالتكم حيارى وأنتم فوق ذلك عظامُ
على أعواد مرقبة رفعتم منارات بها يهدى الانامُ
وكنتم قدوة للشعب مثلى فهل يُرجى له يوماً قيامُ

ويتضح من هذا الى مخاطبة ارواحهم ثم يختم قوله بالحكمة التالية —

وربَّ ضحية أحييتَ شعباً فكان لها العتاق والاقتحامُ
على البلوى اجل صبر جميلٌ لنا آمالنا ولك السلام

والوليد على هذا النسق عدَّة قصائد عربية الروح كهدى الاحياء، والصرخة الكبرى والدولة العربية وسواها. ومثل ذلك للشاعر القروي. ومن اقواله في الشهداء قصيدة مطلعها [1]

خير للطالع تسليم على الشهدا ازكى الصلاة على ارواحهم ابدا
فلنحن اقام اجلالاً وتكرمةً لكلِّ حرٍ عن الاوطان مات فدى
يا انجم الوطن الزهر التي سطعت في جو لبنان للشعب الضليل هدى
قد علقتكم يد الجاني ملطخة فقدست بكم الاعواد والمشدا
بل علقوكم بصدر الافق اوسمة منها الثريا تلظى صدرها حسدا
أكرم بحبل غدا للعرب رابطة وعقدة وحدت للعرب معتقدا

والقصيدة كلها — كاكثر شعر القروي — غيرة وطنية متقدة، واذكاء لنار الحمية القومية في صدور الشبيبة العربية. وقد اتخذ الوطنيون في سوريا ولبنان يوم ٦ ايار (مايو) عيداً تذكاريًّا عامًّا. ففي بيروت كما في دمشق يقيمون كل عام مهرجاناً حافلاً يلقون فيه الخطب والقصائد ذاكرين اولئك الوطنيين الذين ضحى بهم على مذبح السياسة والقومية ولو جمع كل ما قيل فيهم منذ انتهاء الحرب الكبرى الى الآن لملأ مجلداً ضخماً. فنقف هنا عند حد الاشارة اليها

***

اما (الثورة الحجازية) او العربية) فقد اعلنت في مكة سنة ١٩١٦. والذي يطالع ما نشر من المكتب العربي عنها (العرب وشبه جزيرة العرب) يصل الى النتائج التالية —

١ — ان الشعور العربي القومي الذي شهدناه يتأجج عقب اعلان الدستور حتى توصل الى المطالبة باللامركزية حتى في اول الحرب. ولكنه لم يلبث ان تحول الى كراهة الترك ورغبة في التخلص منهم لضغط الاتحاديين في اثناء الحرب

(١) راجع قصيدة الاعاصير ص ٥٥

٢ — ان العلاقة بين الاستانة ومكة كانت على شيء من التوتر وقد زادها توتراً اتصال شريف مكة بالجمعيات العربية

٣ — ان الحلفاء وأخصهم بريطانيا تمكنوا من اجتذاب الشريف حسين بن علي اليهم بوعود خلابة منها انهم يساعدونه على استقلال العرب وتأسيس مملكة عربية

٤ — وبناء على هذه الوعود اعلن الحسين الثورة على الاتحاديين فاشترك العرب فعلاً في الحرب الكبرى

وقد كان لهذه الثورة في البلدان العربية (ما عدا مصر) نتائج معنوية خطيرة اهمها انها اذكت في نفوس الناس العصبية الجنسية ، ووضعت في ايديهم سلاحاً فعالاً للمطالبة باعادة مجدهم التليد فأصبح الملك حسين في الادب العربي (في سوريا والعراق) بطل العرب والمطالب الاكبر بحقوقهم . واذا لفت النظر هنا الى منشور الثورة [1] الذي اذاعه باسطاً فيه الاسباب التي حفزته الى مقاتلة الاتحاديين ومنها اضطهادهم للغة العربية ، وقتلهم لكثيرين من نوابغ النهضة القومية وما قاموا به في البلاد العربية من نفي أسر وافراد ومصادرة اموال وسائر ، وغير ذلك من الاعمال المنكرة

وقد اشترك في هذه الثورة عدد غير قليل من السوريين والعراقيين ، وبينهم نخبة من ضباط الجيش التركي سابقاً . ولا بدع فقد اعلن الشريف « انها عربية تشمل كل عربي كائناً من كان على شرط أن يكون صادقاً لوطنه مخلصاً لقومه » [2]

ولاشك أن الاتراك بذلوا جهدهم لاخماد الثورة . وقد استطاعوا في اثناء الحرب ان يكمّوا افواه الناس في سوريا والعراق عن نشر اخبارها . بل أن يحملوهم على التشفيع بها . على انها كانت في الحجاز قوة فعّالة . وكان للحرب نصيب كبير فيها . ومن حامي لوائه شاعر الثورة فؤاد الخطيب فقد ارخت اليه بكثير من الشعر الحماسي . كقوله من قصيدة حيّى بها استقلال العرب ونهضة الحسين ومطلب [3] —

حيّ الشريف وحيّ البيت والحرما ... وانهض فذلك يرعى العهد والذمما

يا صاحب الهمّة القعساء انت لها ... ان كان غيرك يرضى الأين والسأما

ومنها مخاطباً الاتحاديين —

يا آل جنكيز ان تثقل مظالمكم ... على الشعوب فقد كانت لهم قدما

---

(١) راجع المنشور في الثورة العربية لنجيب سعيد . — ١١١ وفي كتاب الوثائق والمشاهدات لجريدة الايام الدمشقية ص ٢٦

(٢) كتاب ثورة العرب (للقطم ١٩١٦ ، ٢٣١ (٣) كتاب ثورة العرب (للقطم ١٩١٦ ، ٢٤١

فالظلم يقظ منهم كل ذي سنة ما كان يهض لولا انه ظلما

ومنها يشير الى اشتعال الثورة في الحجاز —

فمن يكن عن أباة الضيم في صمم فليسمع اليوم صوتاً يحسم الصمما
فقد تكلم صوت النار مرتفعاً من الحجاز فشق اليد والاكما
يا ابن النبي وانت اليوم ناصره قد عاد متصلاً ما كان منفصما
والتف حولك أبطال غطارفة ثم الالوف يرون الموت مغتنما
فاصدم بهم حدثان الدهر معترضاً صدّاً من الترك ان تمرض له أنهدما

ثم يلتفت الى العرب مستفزاً حميتهم ومذكراً اياهم بمجد الغابر

إيه بني العرب الاحرار ان لكم فخراً أطلّ على الاكوان مبتسما
من ذلك البيت ، من تلك البطاح ، على تلك الطريق مشت أجدادكم قدماً
من كل أروع وثّاب اذا انتسبت بيض الصوارم كان الصارم الخذما
لستم بنيهم ان لستم من سلالتهم ان لم يكن سميكم من سميهم اسما
الى الشآم ، الى أرض العراق ، الى أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

ومثل الخطيب خير الدين الزركلي . ومن قطعاته في هذا الباب قوله سنة ١٩١٨ من قصيدة عنوانها العرب والترك يصف فيها مظالم الاتراك [1] —

عثا أحفاد جنكيز فساقوا سلاسل بعرُبيٍ سوق العبد
فكم قتلوا من الاخيار صبراً وكم ساموا المهانة من عميد
وكم جسروا على الاعواد ظلماً وكم سقَوُا المنيّة من شهيد

ثم يشير الى الثورة فيقول : —

الى أمّ القرى عدتِ المذاكي وفي أمّ القرى خفقُ البنود
وروقٌ في الحجاز وبطن وهطٌ فكان بجلّق قصف الرعود

ويقول من قصيدته « الشهداء » وقد مرّ ذكرها : —

فتى نسب الأُلى اقتسماً ها وخاف على الضيم خسرانها
أثار بني هاشم في الحجاز وأنطق في الترب حسّانها
كتائب هبت تابي الدعاة ونصوي القفار وكثبانها
برمح يرنّ وعضب يئن يُنبّه في الترك وسنانها
هو الثأر أدركه الثائرون اشجى فروقاً وسلطانها

(١) ديوانه ٨٣

وقصائد هذين الشاعرين نموذج لما نظم في الثورة والقائمين بها

وما نراه في الوطن نراه في المهجر فقد حركت الثورة هناك الشعر العربي فأجاد شعراؤه في وصفها والتمجيد بحسناتها، وتمجيد من أوقدوها. يقول رشيد أيوب (١) —

من أقاصي الروم نهديك السلام مع نسيم السحر
يا شريفاً كلما ناح الحمام فوق غصن الشجر

—

صاحب السيف الصقيل المستطاب في دياجي النحس
انت من قوم لهم تعنو الرقاب من قديم الزمن

—

خضتها حرباً على الباغي تدور بكماة أسد
وتركت الترك اصحاب الفجور عبرة للمعتبر

—

فأدر ايها الساقي الكؤوس جاء وقت الطرب
واسقنا من خمرة تجلو النفوس من ظلام الكرب

—

واصغ للبلبل ان لاح الصباح صاح فوق القضب
فلتعش تغرّ في تلك البطاح دولة العرب

وهذا الشاعر من مهاجري السوريين في الولايات المتحدة وهم عموماً أقل تأثراً بالحركة العربية من مهاجري أميركا الجنوبية كما يشهد بذلك شعرهم المنثور في الدواوين والصحف. وقد ألممنا وسلم أيضاً بشيء من أقوال هؤلاء « الجنوبيين » الذين كان لهم مذ ذاك في اضرام الروح العربية وحفظ الشعلة القومية بين أبناء العرب في تلك الاصقاع

ولما انسحبت الجيوش التركية من الاصقاع العربية ودخل العرب [illegible] ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ أخذت الشعر قشعريرة الظفر حتى كتب [illegible] والتنسي وسائر الخواطر الدقيق الخاصة بما تتألق السيول كتألق الليل [illegible] (٢)

أجل بزغت في الشرق شمس الحقائق برغم العدى والمزعجات الصواعق
غداة انتضى العضب المهنّد بيصر بكل كميّ رابط الجأش صادق
فصرك يا عرب الكرام يهولها صليل المواضي او دويّ البنادق
ولا راعها ما جرعت من مرائر وقد لعبت قدماً حيال المناطق

(١) الايوبيات ٦٩ (٢) ديوانه حماسيات ٤٧

وقول الزهاوي من قصيدته النائحة (وقد مرَّ ذكرها) —

وجاءت خيول العُرب تعدو وراءها بمقربة للانكليز خيولُ
هنالك اهل الشام صاحوا وكبّروا وكبر اعلامٌ بها وسهول
وكان لاخذ الثأر قد ثار ضيغمٌ له في مثار الدابتين شبـــول
اغر كريم الاصل من فرع هاشم فطاب له فرع وطاب اصولُ

وقول امين ناصر الدين في «الاهرام» من قصيدة موضوعها يوم الصلح : —

فيالك يوماً فيه وثق الورى عرى الصلح رهط صادق العزم حازمُ
فنيلت حقوق واستقلت ممالك وأنصف مظلوم وجوزي ظالمُ
نهضت بهم من وهدة اليأس جمةٌ فعيشهم غضّ الجوانب ناعمُ
طلعت عليهم والوجوه عوابس ولم تمض الاّ والثغور بواسمُ

وقول اسعد خليل داغر من قصيدته «تاريخ الحرب الكبرى» في فتح سوريا :—

بشراك سورية العزيزة فافرحي وتهللي بخلاص شعبك واطربي
فالله سؤلك قد اجاب فبالغي ما شئت في حمد الاله واطنبي
وعلى الاُلى نجوك آيات الثنا صوغي وعن قدر الضنينة أعربي
اني لتفقدك العظيم لشاكرٌ وبنصرهم هذا لاكبر معجب

وفي ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ احتفل العرب احتفالاً باهراً برفع العَلَم العربي في المكان الذي شق فيه شهداؤهم ، فكان لرفعه هزّة ادبية عظيمة وهي تتجلّى في عشرات القصائد والخطب التي جاشت بها خواطر الادباء من جميع المذاهب . واليك منها هذه القطعة الحماسية وهي من خمس للشيخ مصطفى اللايثي (١)

رايةَ العُرب رايةَ المدنية رايةَ المجد رايةَ الحرية
انت مهوى آمالنا الوطنية ومنارٌ يهدي السبيلَ السوية

دمت فينا مدى الزمان عليّه

بك نحمي الحمى المقدّى ونجني ثمرات نحيي القلوبَ وتُغني
ونرجّي الحياة في روض امنٍ وارفٍ ظلّه خصيب أغنّ

في حمى دولة العلم العربية

(١) راجع قصيدته «نشيد الحرية» في ديوانه

ومن هذه الحماسيات قول شاعر مسيحي من موشح[١]

ايها الابطال حيوا العلما ... واحموه
والصبوه فوق اسوار الحمى ... واحرسوه
كن لقومي رمز مجدوعلاه ... في الامم
وتوّج ذلك الشعب فداه ... يا علم

ويعكس شعور المهاجرين قول ابي الفضل الوليد من قصيدة موضوعها نشيد العلم[٢]

العُرب حولك جندٌ ايها العَلَم ... منهم تألفت الاوطار والهمم
من خضرةٍ وبياض لمعة وهدى ... وحمرة وسواد نقمة ودمُ
الوانك استكملت امجاد عنصرهم ... فيها تلاقى النجى والبأس والكرم
اليك ترنو وفي اجفانها عِبرٌ ... وفي القلوب شعور دائب يحتدم
من الحجاز الى ارض الشآم الى ... ارض العراق لك الآفاق تبتسم
اذا طلعت تطلّعنا الى شرف ... وعزة فاطأنّت حولنا الامم

وقس على هذه الامثلة القليلة ما لو أثبتناه لما وسعته عشرات الصفحات.

***

كان الحزب العربي يأمل تأليف سلطنة عربية تضم الشام والعراق والحجاز وسائر الجزيرة العربية تحت العَلَم الهاشميّ. فتكون هذه الاقطار امارات مستقلة في ادارتها الداخلية ولكنها مرتبطة بعرش واحد يجلس عليه الحسين وأولاده من بعده. وكان هذا الحزب يوالي دولة بريطانيا العظمى ويعتبرها سنداً للدولة العربية وحليفة لها على طوارئ الزمن.

فلما انقضى العام الاول على تأسيس حكومتهم في دمشق ظهر لهم ان قدمهم بوعود الحلفاء لم تكن قائمة على أسّ وركين؛ وان الاعيب السياسة الاستعمارية لا يؤمن شرها، فأخذ التشاؤم يتسرب الى نفوسهم. وبعد أن كانوا بالأمس يفتخرون طربا لذكر الثورة والعَلَم العربي والسيادة القومية، وقفوا يتهامسون بما سيؤول اليه أمرهم. وطبيعي في مثل تلك الحال أن يمس زهرة شعرهم القومي شيء من الذبول — مسحة من الشعور العظيم — عبّر عن ذلك فوزي المعلوفي سنة ١٩١٩ من قصيدة له مطلعها:—[٣]

فيمَ الوغى وديار الشآم تُقتَسَم ... أين الهمود التي لم تُثرَ والهمم

---

(١) جريدة دمشق — ديوانه — ٣٠٧ (٢) الاعداد الماضية ١٠٢٠ (٣) ديوانه ٥٥

وهي أكثر من أربعين بيتاً، وقد بصل فيها شعوره الى درجة الثورة على الظلم فيقول متوعداً —

أيّة بسام ظلمات وطني وأبيت عشه بالغيث منسجم
لئن تولّوا رعينا حسن ودّهم وصيّرونا ومنهم في المروق دمُ

وأشد من ذلك قول الغلاييني في دمشق سنة ١٩٢٠ — (١)

هنيئاً لأسْتكِ أمست على خطرٍ جارت عليها الأعادي جور مُنتقمِ
حتى تسيل ربوع الشام مُفعمةً دماً يسيل الردى في سيله العَرِمِ
وذمة العُرب والايام شاهدةٌ لنضرمنّ الوغى في السهل والظُّلمِ
حتى يخلّوا بلاد العُرب أجمعها من ساحل الروم حتى ساحل العجمِ

ولم يكن شعراء المهجر أقلّ من شعراء الوطن شعوراً بمكائد الاستعمار وخوفاً من ضياع الآمال. ففي الحفلة الكبرى التي احياها الحزب الوطني السوري في بوسطن ابرس سنة ١٩٢٠ احتفالاً بتسلم فيصل عرش سوريا القى الدكتور جورج صوايا قصيدة حماسية قال فيها مخاطباً الأمة العربية (٢) —

يا ابنة جاهري بالحق لا تجبي ونازعي الخلق بفيا مجدك الهرم

وقال مشيراً الى فيصل والعَلَم العربي —

قد قام فينا صلاح الدين يحزمهم فليفخم الشام من قد قال لم يقم
فليفصل العُرب سيلٌ باحثوا في حده الحدّ بين الذل والشمم
يا أيها الشعب دافع عن كيانك لا تحيَنّ وذدْ بالقنا عن مجد ذا العلم

وقد حملت الحماسة شاعراً كبيراً من شعراء المهجر ان يطلب من وطنه لبنان الانضمام الى الدولة العربية في سوريا واليك بعض قوله في ذلك (٣)

فان لم ترضَ بالعُرب اتّصالاً فلا تجعل جزاء الخير شرا
ولا تطلب لاوربا انتصاراً على الشعب الذي ولاّك نصرا

ويقول مخاطباً فيصل —

أفيصل والمطامع محدقاتٌ بنا وحوادث الأيام تترى
فلا تترك لذي طمع علينا يداً تخفي وراء الطلو مرا

ثم يتطرق الى ذكر الاحزاب واختلافها والى آمال الوطنيين الاحرار فيقول متوعداً —

وان فشل ويغشى الشام ضيمٌ جعلنا الشام للافرنج قبرا

---

(١) ديوانه ٩٦ (٢) ديوان همس الشاعر ص ١٠٥ (٣) الياس فرحات — راجع مجلة الاصلاح (بوسطن ابرس) ج ٤ عدد ٨

وهذا الشاعر الوطني كثير مثل ذلك

ومن يراجع الشعر العربي السياسي في السنين الثلاثين للحرب (١٩١٩ و ١٩٢٠) يجده واحداً في جميع الأوساط السورية والعراقية — بعد عن سياسة الدول في الشرق ودعوة الى الجهاد في سبيل الاستقلال والمحافظة على كرامة المسلم العربي . ولعل اهم ما اثار النفوس في ذلك الوقت واقامة ميسلون وما كان من بسط الاقتداء على البلاد السورية — ثم الثورة العراقية والهابها العصبية القومية على ضفاف الرافدين (وسنذكر في باب خاص)

اما مصر فكانت مشغولة باحوالها الخاصة — كان شعرها السياسي منصرفاً الى محاربة الاحتلال ، وتوجيه نظر الأمة الى الاستقلال . ورغم ... كنا نراه يومئذ لبعض شعراء المصريين من العطف على القطرين الشقيقين (سوريا والعراق) لا يسعنا الآن نقول ان الرأي الادبي العام في وادي النيل لم يكن عربي النزعة — بل نذهب الى ابعد من هذا فنقول انه كان دائماً نورة الحسين على الخلافة العثمانية ، تلك الثورة التي انتهت بانتصار الحلفاء وتعزيز الاحتلال (عندئذ) في مصر . ولذا وقف الشعر المصري ازاء القضية العربية وقفة المعرض ناقضاً يده من كل ما له علاقة سياسية أو قومية بسائر البلدان العربية

ويؤيد قولنا هذا ما صرّح به مصري صميم [1] اذ قال في حفلة تكريم الوفد العراقي سنة ١٩٣٦ مشيراً الى هذا الموقف والى تحوّل الشعور المصري [2] —

« منذ عشرين سنة أو نحوها كان اكثر المصريين اذا ذكر البلدان العربية ذكرها في شيء من الموجدة يشبه الالحاد » . وبعد أن يذكر أن نظرهم الى الاقطار العربية لم يكن يختلف عن نظرهم الى أي قطر شرقي — كاليابان او الصين مثلاً — يقول — « تلك المرحلة الاولى كانت مرحلة الوسواس والشكوك . فلما قامت الحرب وراى كل اهل الاقطار العربية كيف استيقظت روح الايمان من سباتها العميق فاخذت الاسماء والاقلام العربية تكتب وذكرت الاخوة والآلام المشتركات ذكرتها مصحوبة بشعور من الاخاء لم يكن غير مرفور ! »

***

وقد كان الشعراء في سوريا والعراق حتى في « مرحلة التكوّن » الوسواس » التي يشير اليها الاستاذ دياب اعطف على القضية المصرية . على ان تحول الشعور المصري الاخير نحو الشقيقات العربية قد زادهم حماسة واهتماماً وسنرى بعد قليل يظهر والاهم لنوحيا المصري [3] في جهاده

(١) هو توفيق دياب مقتبس جريدة الجهاد (٢) راجع خطابه في صوت الاحرار بعدد ٢٦٦